مركز دلائل
Dala'il Centre
DALAIL

دراسات فكرية

المعنى المُبكر لكلمة "القرآن"

وليام أ. جراهام

ترجمة :
رضا زيدان

سلسلة دراسات تصدر عن مركز دلائل – دراسة (٨) ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

www.dalailcentre.com

المعنى المُبكر لكلمة

" القرآن "

وليام أ. جراهام

ترجمة :

رضا زيدان

مقدمة الترجمة....

كان العرب قبل الإسلام والشعوب القديمة شعوبًا أمية، لا بمعنىٰ أنه لم يكن هناك ممارسون للقراءة والكتابة، قلوا أو كثروا، وإنما بمعنىٰ أن الأنشطة الإدارية والسياسية والتجارية والاجتماعية في هذه المجتمعات كانت شفهية إجمالًا، وكانت الحاجة إلىٰ الكتابة نادرة أو عرضية، لذلك كان للكلمة المنطوقة قوة تأثيرية وفعلية، وهذا هو **"الأصل الشفاهي للغة** [الذي هو] **سمة لاصقة بها"**.[1] كيف لا وقد خلق الله بالكلمة، وعلم آدم الكلمة، ويدخل المرء الإسلام بالكلمة، وعلمنا النبي صلىٰ الله عليه وسلم عددًا لا نظير له من الأذكار في كل المواقف تقريبًا. لكننا نشأنا في مجتمعات كتابية، وهناك سمات لتفكير المجتمعات الشفهية تختلف عن سمات تفكيرنا أجاد الأنثروبولوجيون في بحثها في النصف الأخير من القرن العشرين، منها أن الكلمة عندهم صوتية حية، أما الكلمة عندنا بصرية ساكنة، حتىٰ الأمي في عصرنا يتأثر بالطريقة الكتابية في التصور إلىٰ حد كبير، فشيوع الكتابة لم يكن مجرد إجراء وإنما اكتساب نوع مختلف من التفكير. لذلك عندما ندرس أي نص قديم، وليكن قصة ملاً ، لا بد من استحضار الطابع الشفهي للقصة، أي التأثير في الأجيال جيلاً بعد جيل، فهي **"تُقرأ"** من أجل التأثير لا من أجل الثقافة أو المعرفة. هذا هو السياق الشفهي للنصوص.

عندما ننظر إلىٰ القرآن الكريم نجد أن أول حرف فيه هو **"اقرأ"**، فما معنىٰ اقرأ عند الشعوب القديمة؟ لو نظرنا إلىٰ اللغة العبرية ملاً – باعتبارها من نفس عائلة اللغة العربية، أي السامية – سنجد أن الفعل קרא قرا يعني في الأصل

(1) والترج. أونج، الشفاهية والكتابية، عالم المعرفة، ١٩٩٤، ترجمة حسن عز الدين، ص٤٣.

النداء أو الإعلان، أي إخبار أمام الناس وبصوت مرتفع لأذن مصغية،[٢] هذا هو البُعد الصوتي التأثيري الذي أتحدث عنه، لذلك ممارسة "القراءة الصامتة" التي نقوم بها غير موجودة عند الشعوب القديمة. يزيد الأمر وضوحًا عندما يكون النص دينيًّا، لأن النص الديني تأثيري بطبيعته (دَعَوي وتعبدي). هذا عن العبرية كمثال، **فما معنىٰ كلمة "اقرأ" و"قرآن" في العربية وفي القرآن الكريم نفسه؟** ذلك الكتاب الذي اعتمد نقله بالأساس علىٰ حفظ القلوب ونقل الأمة جيلاً بعد جيل. **هذا السؤال هو موضوع الورقة التي أقدمها إليكم.**

لقد عرفتُ الدكتور جراهام من خلال بحثه القيم عن الحديث القدسي،[٣] ووجدت في هذا العمل وفي أعمال أخرىٰ للمؤلف اهتمامًا كبيرًا بالفرق بين المجتمعات الشفهية والكتابية، وهذا كان جديدًا في الربع الأخير من القرن العشرين، وتعتبر هذه الورقة نموذجًا لأفكاره الأساسية في أعماله، وهي بحث سياقي لكلمة "قرآن" في فترة نزول الوحي (وتعتبر تمهيدًا لكثير من الدراسات القرآنية التي افتتحتها الألمانية أنجليكا نويفرت)، إذ يعرض المؤلف تلك السمة الديناميكية للقرآن الكريم ككلام إلهي يتلىٰ، لا كنص مكتوب (وهذه السمة، أي كون القرآن كتابًا، نحن نعيشها بطبيعة الحال)، من خلال أمرين: الأول هو البحث عن أصل الكلمة (أو ما يعرف بعلم التأثيل) وبيئتها قبل بعثة النبي صلىٰ الله عليه وسلم. والثاني هو استقراء الاستعمال القرآني لكلمة "اقرأ" و"قرآن" وعرض عينة من الاستعمال الحديثي.

---

(2) ويليم م. شنيدويند، كيف أصبح العهد القديم كتابًا: تدوين إسرائيل القديمة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٩، ترجمة أحمد الجندي، ص٨٦.

(3) William A. Graham, Divine Word and Prophetic Word in Early Islam, The Hague and Paris: Mouton, 1977.

والغرض من ترجمة هذه الورقة هو **التنبه لسمة كون القرآن كلامًا إلهيًّا يُتلىٰ**، فنحن المسلمون – كما سيذكر المؤلف في الخاتمة – لم تغب عنا هذه السمة بحكم أننا نتعبد بقراءة القرآن في الصلاة وفي غيرها، لكن هذا التنبه النظري سيساعدنا في فهم أفضل للقراءات القرآنية (وربما الأحرف السبعة أيضًا) و"العرضة الأخيرة" و"جمع القرآن" في عهد أبي بكر ثم في عهد عثمان رضي الله عنهما، وغير ذلك من مفاهيم قد لا نتصورها حق التصور لأننا لم ننشأ في مجتمع شفهي. وغني عن الذكر أنه لا يلزم أن نوافق المؤلف علىٰ كل ما يقوله في الورقة، وأن هناك بعض العبارات موهمة أو غير دقيقة تحتاج إلىٰ تأمل، لكن الورقة إجمالًا مفيدة، ولا سيما للباحث في علوم القرآن الكريم. أسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا.

❊ ❊ ❊

المعنىٰ المُبكر لكلمة "قرآن"[1]

وليام أ. جراهام

ترجمة : رضا زيدان

عادة ما يفكر الطلاب الذين يدرسون الإسلام وكذلك المسلمون أنفسهم في الكلمة العربية "قرآن" بالأساس كاسم علم لـ "القرآن" بأداة التعريف،[2] ويستخدمونها علىٰ هذا النحو. وبهذه الكلمة يشيرون إلىٰ مجموع ما أوحي به إلىٰ محمد [صلىٰ الله عليه وسلم] من الله كما جمعه ورتبه بشكله الحالي الضروري "القرَّاء" الأصليين المقدَّرين أو "نقلة التلاوة" (حملة القرآن)، الذين كانوا لا يزالون علىٰ قيد الحياة في عهد الخليفة الثالث عثمان (٢٣هـ / ٦٤٤م – ٣٥هـ / ٦٥٦م).[3] وقد عُرِف الوحي منذ ذلك الوقت كمجموع مدوَّن علىٰ أنه

(1) هذه المقالة هي نسخة منقحة من ورقة قُدمت في مؤتمر تكريم ويلفريد كانتويل سميث Wilfred Cantwell Smith (جامعة هارفارد، يونيو ١٩٧٩). وقد أعيد العمل عليها كجزء من ورقة أطول حول الجوانب الشفوية للنص المقدس في مؤتمر عن "الإسلام وتاريخ الأديان" في جامعة ولاية أريزونا في يناير ١٩٨٠. [نُشرت نسخة منقحة وموسعة من الورقة الأخيرة مؤخرًا في عام ١٩٨٥ وقد جرى تضمينها في المجلد الحالي، فور إعادة طبعه]. كُتب هذا المقال على الرغم من عدم نشره قبل ظهور عمل أنجليكا نويفرت المؤثر "دراسات في تركيب السور المكية" Studien zur Komposition der mekkanischen Suren (Berlin: de Gruyter, 1981). انظر مقالها "عن بنية سورة يوسف":

"Zur Struktur der Yūsuf-Sure", in W. Diem and S. Wild, edd., Studien aus Arabistik und Semitistik. Anton Spitaler zum siebzigsten Geburtstag (Wiesbaden: Harrassowitz, 1980), 123-152.

إن إصرار نويفرت على الطابع الأساسي للقرآن باعتباره "نصًّا للتلاوة" ونهجها الصوري والبنيوي للنص ووحداته التقليدية يجادلان على نحو مقنع للحاجة إلى التعرف تعرفًا أوضح على الوظيفة الشفوية والتلاوية المتأصلة للقرآن. يقدم هذا المقال حجة تكميلية لمركزية هذه الوظيفة الشفوية والتلاوية في الاستعمال الإسلامي المبكر الذي يمكننا إعادة بنائه.

(2) مما يُستثنى من ذلك هو عنوان "قرآن كريم" الذي يظهر في العديد من النسخ (بدلًا من "القرآن الكريم"، ويُفترض أنه اقتباس من سورة الواقعة الآية ٧٧.

(3) هذا التفسير لتاريخ حدوث النص القرآني المتلقى مشترك فيه بشكل عام في الدراسات الحديثة لغير المسلمين، أو على الأقل لا يُنظر إليه على أنه ملفق بالكامل، وكذلك بين علماء المسلمين. وقد تعرض

"القرآن" وببساطة "الكتاب the Book" أو (الأفضل) "النص المقدس the Scripture" (الكتاب). ويُعبَّر عن هذا في الاستعمال التقليدي بـ "ما بين الدفتين"[٤] ويُفهَم في الإسلام لاهوتيًّا على أنه "كلام الله" المحفوظ في كتاب الله الأزلي (الكتاب أو أم الكتاب) والمكتوب من أجل الاستخدام البشري في النماذج الأرضية (المصاحف، جمع مصحف). على هذا النحو، يؤمن المسلمون بأن القرآن هو كلمة الله الأخيرة للبشر، وهو الوحي الكتابي الذي يصحح ويحل محل "النصوص المقدسة" السابقة (الكتب)، التي لم يحافظ عليها كما يجب الذين أعطوا الكلمة الإلهية سابقًا، وخاصة المسيحيون واليهود.

من الواضح أن القرآن بالمعنى المتأخر المستقر لكلمة الله كما هو مكتوب في المصحف هو بالضرورة استعمال بعد-عثماني وبعد محمدي [صلى الله عليه وسلم]. حتى تدوين ما كان منذ ذلك الحين بمثابة النص المتلقى – أو على الأقل حتى توقف الوحي النشط مع وفاة محمد [صلى الله عليه وسلم] – لم يكن هناك استخدام لـ "القرآن" للإشارة إلى حاصل "كل ما أُوحي به المجموع في صورة مكتوبة".[٥] هذا لا يعني إنكار أنه حتى في القرآن توجد إشارات لمفهوم ينمو للوحي المجموع في استعمال كلمتي القرآن والكتاب، وإنما

مؤخرًا لهجوم جذري، وإن كان غير مقنع الإقناع الكامل، على يد العديد من الباحثين، وأبرزهم جون وانسبرو، في كتابه "الدراسات القرآنية: مصادر وطرق تفسير النص المقدس" (أكسفورد ١٩٧٧)، وجون بيرتون، في "جمع القرآن" (كامبردج، ١٩٧٧).

(4) Muhammad b. Ismā'īl al-Bukhārī, al-Sahīh (9 voll., Beirut, n.d.) 66:16; Ahmad b. Hanbal, al-Musnad (6 voll. Cairo, 1313/1895) 1: 415.

(5) F. Buhl, "Koran", EI, 2: 1063b. His discussion of this point is the clearest in the literature; but see Th., Nöldeke, Geschichte des Qorāns (2 voll., rev. F. Schwally. Leipzig, 1909-19) [Hereafter "Nöldeke-Schwally"] 1: 31-34.

التأكيد على المغالطة المتضمنة في "القراءة الرجعية" لاستعمالات القرآن أو الأحاديث لهذه المفردات بمعناها المحدَّد لاحقًا. كما سنرى أدناه، فإن كلمة "قرآن" لم تدل في الأصل على كل إبلاغات الله إلى محمد [صلى الله عليه وسلم]، ولم تشر إلى "النص المقدس" ككل واحد ثابت.

أول اعتبار مهم في استعادة المعنى الأول للقرآن لدى المسلمين هو أن الظاهر أن عملية الوحي الإلهي قد فهمها النبي والصحابة والأجيال العديدة التالية من المسلمين بطريقة ديناميكية نسبيًا وليست ساكنة. ففي حين أن الوُحِيّ المنفردة كان يُطلق عليها على ما يبدو "آية" أو قرآن ("تلاوة")، ومُنِحت مكانة خاصة، وجرى تمييزها عن كلمات محمد [صلى الله عليه وسلم] من البداية، إلا أن من الواضح أنه كان هناك كلمات موحى بها من الله متداولة منذ وقت مبكر. علاوة على ذلك، يبدو أنه حتى عملية الوحي التي أُعطي بها القرآن للنبي كانت عملية متنوعة وأكثر "باطنية" أو "نفسانية" مما قد يقبل به التفسير اللاهوتي اللاحق (باهتمامه بالدقة الحرفية "المعصومة" لكلمة الله في القرآن المجموع). كان محمد [صلى الله عليه وسلم] على تواصل بالله، ومن ثم فإن الهداية الإلهية لن تتوقف عند التلاوات الرسمية المعروفة باسم "القرآن".

إن هذه الصورة للوحي في بدايات الإسلام هي خلفية مهمة لبحث محدَّد للدلالة الأولى لمصطلح "قرآن".[٦]

(6) لتقديم مفصل لهذه الأفكار انظر المرجع التالي خصوصًا الجزء الأول:

William A. Graham, Divine Word and Prophetic Word in Early Islam (The Hague, 1977).

ما هي إذن السمة المميزة للقرآن مقارنة بكلمات النبي أو حتىٰ الكلمات الإلهية غير القرآنية؟ قد يكمن المفتاح في عبارة إسلامية لاحقة حول النوع الأهم من كلمات الله غير القرآنية، وهو ما يسمىٰ "الحديث الإلهي" (الحديث القدسي).[٧] وقد وردت هذه العبارة في أقدم عمل موسع عن علوم القرآن،[٨] وهي محاولة للتمييز بين الحديث الإلهي، الذي يُسمىٰ بلا لبس الوحي والتنزيل، وبين الوحي القرآني نفسه. تقول العبارة إن الحديث الإلهي هو:

أَمْر أمَر به [الله] وأوحىٰ به وأنزله. ولا يجوز أن نقرأ شيئًا منه في الصلاة، لأنه لم ينزل بنفس النظم الذي أُنزل به القرآن كله – الذي [القرآن] أُعطي لنا كي نتلوه، والمكتوب في المصحف، ونُقل إلينا كما هو مشهود عمومًا من جيل إلىٰ جيل.[٩]

تضيف المناقشات اللاحقة حول نفس المسألة التمييز الخارجي القائل إن القرآن هو كلمة الله الحرفية (اللفظ)، في حين أن الحديث الإلهي هو خبر نبوي عن كلمة الله وفقًا للمعنىٰ فقط – أي أن القرآن وحده هو المعجز، وله الصفة الإعجازية لكونه لفظًا إلهيًّا لا يضاهىٰ.[١٠] ومع ذلك، فإن العبارة المقتبسة وظيفية أكثر من كونها لاهوتية، وفي هذا الاتجاه الوظيفي سأسعىٰ إلىٰ فهم أوضح للمعنىٰ الأصلي للقرآن في الاستعمال الإسلامي. إن ذلك الطابع القرآني

(7) فيما يتعلق بهذه الأحاديث، انظر المرجع السابق، خصوصًا الفصل الثاني "الحديث الإلهي".

(8) The anonymous Kitāb al-Mabani [written 425/1033], in Arthur Jeffery, ed., Two Muqaddimas to the Qur'anic Sciences (Cairo, 1954), 5-250.

(9) المرجع السابق، ٨٩.

(10) See W. Graham, Divine Word, 56-62, for description of these later discussions, including that of Ibn Khaldūn.

المتمثل في كونه وحيًا له نظم معين مخصص لاستخدام التلاوة في العبادة هو ما يميزه عن النصوص الأخرىٰ. من الناحية اللاهوتية، جرىٰ تمييزه عن أي خطاب آخر بعدة طرق (علىٰ سبيل المثال كونه "معجزًا"، و"غير مخلوق")، لكن الميل في كل من الدراسات الإسلامية في العصور الوسطىٰ والمدرسة الغربية الحديثة (تحت تأثير تحيز فلسفي يوناني في الحالتين؟) إلىٰ منح الأسبقية إلىٰ منزلته الوجودية أو "الضرورية" كخطاب إلهي علىٰ منزلته الوظيفية أو "العرضية" كنص مقدس يُستخدم في العبادة، أقول إن هذا الميل يبتعد عن القوة النشطة لكلمة "قرآن" كما أراها في حياة المسلمين المبكرة (ولاحقًا) بصرف النظر عن التأملات النظرية.

لم تُوثَّق الكلمة العربية "قرآن" قبل القرآن نفسه.[١١] تقدم المصادر الإسلامية معاني ومشتقات أصلية مختلفة، معتبرة كلمة قرآن إما (١) صيغة خاصة بلا جذر، مستخدمة للنص المقدس العربي مثلما استخدم لفظ التوراة بالنسبة لليهود ولفظ الإنجيل بالنسبة للمسيحيين.[١٢] (٢) اسم مصدر، أو مصدر (بدون همزة)، مشتق من قَرَن، بمعنىٰ "ربط، وعقد، وجمع".[١٣] (٣) اسم مصدر (بدون همزة)، مشتق من قرأ، بمعنىٰ "جمع أو عقد"[١٤] أو

(11) A. Jeffery, The Foreign Vocabulary of the Qur'ān (Baroda, 1938), 233.

(12) Jalāl al-Dīn al-Suyūtī. al-Itqān fī 'ulūm al-Qur'ān, (2 voll. Cairo, 1951/1370) 1:50-51, citing al-Bayhaqī and al-Khatīb al-Baghdādī as two main sources. Cf. Jeffery, For. Vocabulary, 234, n. 1.

(13) Suyūtī, Itqān 1:51, citing al-Ash'arī as one of those giving this derivation. Cf. Jeffery, For. Vocabulary, 233.

(14) Muhammad b. Jarīr al-Tabarī, Tafsīr, edd. M.M. Shākir and A.M. Shākir (16 voll. Cairo, n.d.) 1: 95-96; E.W. Lane, An Arabic Lexicon (8 volI. London, 1863-93) 7:2502; Nöldeke-Schwally 1:31-32.

"يعلن، ويتلو، ويقرأ [بصوت مرتفع]".[١٥] وقد عيّنت الدراسات الحديثة الاشتقاق الأخير على أنه الاشتقاق الصحيح لغويًا وشددت عن حق على صدارة معنى **"يعلن، ويتلو، ويقرأ بصوت مرتفع"** على أي معنى أكثر حرفية لـ "يقرأ" بمعنى القراءة الصامتة أو القراءة المعرفية البحتة.[١٦]

يتعزز هذا الفهم للفعل "قرأ" بالتأثير المحتمل للاستخدام السرياني المسيحي على الحقل الدلالي لهذا الفعل ومشتقاته.

ففي السريانية الفعل قرأ له معنى "يدعو إلى call"، و"ينادي"، و"يتلو، يقرأ بصوت مرتفع [نصوص من الكتاب المقدس على وجه الخصوص]".[١٧]

الأكثر أهمية هو استخدام الصيغة الاسمية، قريانا qeryānā، للقراءة الليتورجية [الطقسية] الشفوية للمكتوب المقدس (= lectio [اليونانية

ومن هذا المعنى للجذر، بمعنى "انقباض [الرحم]" (يعتقد)، جاء اشتقاق كلمة قروء (البقرة ٢٢٨)، راجع الهامش ٢٩ أدناه.

(15) Tabarī, Tafsīr, 1, 94, glosses it with tilāwah and qirā'ah; cf. Lane, Lexicon, 7: 2502.

لاحظ أيضًا، كما لفت انتباهي زميلي ولفارت هاينريش، أنه من المعقول على الأقل أن يكون معنى "قرأ" قد تطور من معنى "الجمع" دون أي تأثيرات خارجية. راجع لفظ legere اللاتيني ولفظ lessen الألماني، اللذان لهما كلا المعنيين [اتصال شخصي بيني وبينه، سبتمبر ١٩٧٩].

(16) وجهة نظر ماير E. Meyer في كتابه "أصل وتاريخ المورمون Ursprung und Geschichte der [Mormonen]" [1912]، وديروف K. Dyroff, "Zu Sure 96, 1-5", MVAG 22 [1917]: 178-180، المتمثلة في أن المعنى الأساسي لا الثانوي للفظ قرأ هو "قراءة [شيء مكتوب]" فقط قد دُحضت على نحو مقنع في:

J. Pedersen, Der Islam 5: 110-15. See also Nöldeke-Schwally 1: 31-34, 78-82; Jeffery, For. Vocabulary, 233; Josef Horovitz, Koranische Untersuchungen (Berlin and Leipzig, 1926), 74-76; and Christiaan Snouck Hurgronje, Mekka (The Hague, 1889) 2: 225, n. 1; and "Une nouvelle biographie de Mohammed", RHR 30: 61-62, 154-155.

(17) Cf. R. Payne Smith, *Thesaurus Syriacus* (2 volI. Oxford, 1883-1901) 2: 3715f.

[anagnôsis] ولفقرة النص المقدس التي تُقرأ (= lectio، periocha، locus legenda [اليونانية anagnôsma، وperiochê].[١٨]

وقد أكد على ربط اسم المصدر أو المصدر بقريانا السريانية تقريبًا كل باحثي القرآن الغربيين، على الرغم من أن جميعهم قد فعلوا ذلك دون إحالة محددة حتى إلى شهادة تاريخية واحدة للاستخدام الليتورجي المسيحي في مصدر سرياني سابق للإسلام.[١٩] يمكن التصديق على هذه الشهادة بالنصوص الليتورجية السريانية في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد،[٢٠] التي تعزز الحجة حول تأثير تاريخي هنا على الاستخدام العربي وعلى المعنى الشفهي الصوتي للعربية. ومع ذلك، يجب التأكيد على أن استخدام صيغة "قرآن" (صيغة مصدرية عربية تمامًا) يدل على احتمال أن يكون هنا تأثير سرياني مسيحي على الثراء الكلي لمعنى الصيغة العربية، وبالطبع ليس الأمر "استعارة"

(18) المرجع نفسه b3716:2، ينقل هذا المرجع عدة مواضع بالمعنى الأول في مصادر مسيحية سابقة للإسلام، بدءًا من تيموثاوس ٤: ١٣، وعدة مواضع بالمعنى الثاني في مصادر مبكرة مثل تعليق القديس كيرلس على لوقا. ومع ذلك، فإن الفحص العشوائي لهذه الوقائع لا يسفر عن إثبات واضح للكلمة كمصطلح تقني في السياق الليتورجي.

(19) يستشهد الجميع عمومًا ببعضهم البعض أو بمراجع ثانوية كسلطة أو يدلون بهذا الرأي بصرامة على أساس اللغوي، على سبيل المثال:

A. Mingana, "Syriac Influence on the Style of the Kur'an", Bull. J. Rylands Lib., 11 (1927): 88, n. 1; Nöldeke-Schwally 1: 33-34; Julius Wellhausen, "Zum Koran", ZDMG 67 (1913): 634; Franz Buhl, EI 2: 1063b; Tor Andrae, Mohammed. Sein Leben und sein Glaube (Göttingen, 1932), 79; Josef Horovitz, "Qur'ān", Der Islam 13: 66-67; Richard Bell, The Origin of Islam in Its Christian Environment (London, 1926), 90-91; Rudi Paret, Mohammed und der Koran (2nd ed. Stuttgart, 1957), 53-54; and Jeffery, For. Vocabulary, 234.

(20) مراسلة شخصية من ألفورد تي. فلش T. Welch، 26 مارس ١٩٨٠، أشار فيها إلى أن سيباستيان بروك في أكسفورد يستشهد بمواضع محددة لكلمة قريانا في القداسات الليتورجية في القرن السادس والسابع الميلادي، على سبيل المثال the Qeryānā d-yôm bā'wātā (قراءة ليوم الدعاء) و Qeryānā d-sulāqeh d-māran (قراءة ليوم الصعود). وقد تأكدت من ذلك (أكتوبر، ١٩٨٢) شخصيًا من الأستاذ بروك. وأنا ممتن لكلا الباحثين على هذه المراجع.

مباشرة (من شأنها أن تسفر عن صيغة مصدرية مثل قريانا، على ما يُفترض).[٢١]

لا بد من الإشارة أيضًا إلى تأثير محتمل ثانٍ قد أُهمل أكثر من غيره على المعنى المحدد ودلالات لفظ قرآن في الاستعمال الإسلامي الأصلي، وهو الصيغ العبرية من الجذر ق ر ا. يوازي استعمال الأحبار اليهود للفظ قريا ومقرا استعمالي قريانا بين المسيحيين السريان المذكورين أعلاه.[٢٢] لفظ مقرا هو أيضًا مصطلح تلمودي للكتاب المقدس بأكمله،[٢٣] وهو مصطلح **"يعني التأكيد على كل من الأسلوب الصوتي للدراسة والدور المركزي الذي أدته القراءة العامة للنصوص المقدسة في ليتورجيا اليهود"**.[٢٤] بينما هنا مرة أخرى يجادل الاختلاف في الصيغة المحددة للفظ قرآن عن أي من المفردتين العبريتين ضد "الاستعارة" المباشرة من العبرية، وربما أحدث هذان الاستعمالان اليهوديان جنبًا إلى جنب مع المصطلحات المسيحية تأثيرًا في دلالات لفظ قرآن في الاستعمال العربي.

---

(21) هذه الصيغة المصدرية "فعلان" هي، كما أيدت مراسلة شخصية من زميلي ولفارت هاينريش، بالتأكيد شائعة بما يكفي لأن يتوقع المرء بسبب وجيه أن "قريان" مستعارة بشكل مباشر من مصادر مثل رضوان أو حرمان أو نسيان.

(22) لا يميز هوروفيتس (J. Horovitz, "Qur'ān", Der Islam 13, 1923) بين الاثنين، ويطلق على كليهما "قراءة النص Schriftverlesung"؛ ويلاحظ Nöldeke-Schwally 1: 32 أنه يمكن استخدام المقراة للدلالة على أجزاء وكذلك إلى الكتاب المقدس ككل. ويشير جيفري في "المفردات الأجنبية"، ص٢٣٤، إلى أن مرتشي وجيجر قد جادلا سابقًا للاشتقاق العبري للقرآن، لكنه يفضل الاشتقاق السرياني. وقد أصبحت أكثر اقتناعًا بأهمية هذين الاستعمالين اليهوديين لفهم الخلفية التاريخية التي يجب على أساسها رؤية الاستعمال المبكر للقرآن بعد رؤية جزء من ورقة غير منشورة بقلم جوديث فيجنر Judith Wegner، وهي باحثة في كلية الحقوق بجامعة هارفارد، ومناقشة ذلك الأمر معها (نوفمبر ١٩٧٩). وموقفها هو افتراض التأثير اليهودي – الشيء الذي لم يثبت بعد.

(23) D. Künstlinger, "Kitāb und Ahlu-l-kitāb", RO 4 (1928): 239; idem., "Die Namen der 'Gottes-Schriften' im Qorān", RO 13 (1937): 76, n.2. Cf. Nöldeke-Schwally 1: 32; EJ 4: 816.

(24) EJ IV: 816; I. Elbogen, Der judische Gottesdienst in seiner geschichtlichen Entwicklung (3rd rev. ed. Frankfurt a. M., 1931), 155-205.

أيًّا كان الاشتقاق الذي يفضله المرء، فإن مضمون الدليل واضح من ناحية معينة: وهي أن لفظ قرآن قد فُهم علىٰ أنه **يشير إلىٰ قراءة أو تلاوة لنص مقدس مثلما كان يفعل اليهود والمسيحيون في البيئة العربية.**[٢٥] وبصرف النظر عن التاريخ اللغوي للفظ "قرآن"، فإن هذا اللفظ في هذا الموقف كان يشير عند الجميع إلىٰ أن هذه الكلمات كانت تُقدَّم باعتبارها كلمة الله المقدسة التي يجب تلاوتها في العبادة. في المحيط العربي في القرن السابع الميلادي، حيث كانت هذه التقاليد الكتابية المقدسة القديمة (وربما كان هناك أيضًا تقليد الزرادشتيين) جلية جدًا، لم يكن لفظ "كتاب" المستخدم في الليتورجيا والصلاوات وثيقة تُقرأ بصمت؛ وإنما كلمة مقدسة يعلنها المرء بصوت مرتفع ويُستمع إليها بتبجيل.

يصبح هذا الأمر أكثر وضوحًا عندما يتذكر المرء، بصرف النظر تمامًا عن الارتباط الطبيعي للتلاوة الشفهية بالكلمة المقدسة، أن "الكتب" علىٰ هذا النحو كانت حتىٰ وقت قريب نسبيًا تُقرأ بصوت مرتفع أو تُتعلَّم عن ظهر قلب وتُتلىٰ. (ويصح هذا من باب الأولىٰ بالنسبة للكتب المقدسة). لقد غيّرت ثورة جوتنبرج في الغرب هذا الوضع تدريجيًا،[٢٦] حيث في القرنين أو الثلاثة قرون الماضية بالخصوص، أولًا في الغرب ثم في جميع أنحاء العالم، أدىٰ انفجار

(25) هذا الرأي هو نفس الرأي إلى حد كبير الذي قدمه تور أندريه Tor Andrae (على نحو أكثر حتمية إلى حد ما، لكن مع ألمعية أندريه الخاصة في عمله: Mohammed: Sein Leben und sein Glaube (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1932), 78-79 (= p. 96 of Eng. trans. by [Th. Menzel rev. ed. New York 1960]، الأمر الذي لا يناسب على الإطلاق هذا المقطع المحدد.

(26) راجع عمل إليزابيث آيزنشتاين، "المطبعة كعامل تغيير The Printing Press as an Agent of Change" (كامبردج ١٩٧٩)، التي تعطي مركزية سببية أكبر للطباعة كقوة ثورية في الإصلاح وكل التاريخ الأوروبي اللاحق على نحو يبدو أقل مصداقية. لكن كون هذه الثورة في الاتصال قد حدثت نتيجة لاختراع الطباعة أمر لا يمكن إنكاره.

"ثقافة الكتاب" إلىٰ تثبيت مفهوم النص علىٰ نحو لا ينفصم ليعني الكلمة المطبوعة بدلًا من الكلمة المنطوقة. (فقط في العقود الأخيرة، تحت تأثير تكنولوجيا الاتصالات الحديثة ربما تتضاءل هيمنة الكلمة المكتوبة).[٢٧] لم يكن هذا هو الحال من قبل، لأنه حتىٰ الأزمنة المتأخرة في عدد قليل من البلدان الأوروبية، كانت غالبية أي مجموعة ثقافية أو دينية معينة أمية، ومن ثم تعتمد علىٰ القراءة بصوت مرتفع أو التلاوة لنقل نصوص من أي نوع. في الواقع حتىٰ الأقلية المتعلمة في معظم المجتمعات لم تمارس القراءة الصامتة إلا في وقت متأخر جدًا؛ وبالنسبة لمعظم تاريخ البشرية، كانت القراءة تجرىٰ بتحريك الشفاه، بصوت مرتفع، حتىٰ عندما يكون القارئ بمفرده.[٢٨]

بالعودة إلىٰ القرآن، يجد المرء أن الأدلة الداخلية تدعم هذه الفكرة القائلة إن لفظ قرآن يعني في الأصل "التلاوة [بصوت مرتفع]". والأمر "قُل" (المتكرر في القرآن أكثر من ٣٠٠ مرة) الذي يتقدم العديد من المقاطع القرآنية هو نفسه تذكير مذهل بأن هذه النصوص مقصود بها أن تُقرأ بصوت مرتفع. ومع ذلك،

(27) أي تحت تأثير تكنولوجيا الفيديو والكمبيوتر، التي بدأت بالفعل في تغيير اتصالات اليوم تغييرًا جذريًّا، و"تخزين" المعلومات.

(28) Cf. J. Balogh, "Voces Paginarum. Beiträge zur Geschichte des lauten Lesens und Schreibens", Philologus 82 (1926-27): 83-109, 202-240; J. Leclercq, L'Amour des lettres et le desir de Dieu (Paris, 1957), 20-23; Walter J. Ong, The Presence of the Word (New Haven, 1967; 2nd ed. Minneapolis, 1981), 58-65; and Marshall McLuhan, The Gutenberg Galaxy: The Making of Typographic Man (Toronto, 1962), 82•95; see also 18-21, 26-28, 45-50, 74-79.

وراجع الفقرة الشهيرة لأوغسطين في الاعترافات التي يندهش فيها للغاية من رؤيته لأمبروز أنه عندما كان يقرأ كتابًا "كانت عيناه تتسللان على الصفحات، وقلبه يبحث عن المعنى، لكن صوته ولسانه لا عمل لهما"، لدرجة أن أوغسطين لم يسعه سوى التعليق على هذا الشيء الجديد.

(tr. E. Pusey [New York, 1949], 98; Latin orig., edd. J. Gibb and W. Montgomery [2nd ed. Cambridge, 1927], 141, lines 10-11).

فإن ما لم يجري التأكيد عليه بما فيه الكفاية، هو التماسك اللافت للنظر للمعنىٰ الذي ينتج عندما يصر المرء علىٰ أن المعنىٰ الأساسي في كل القرآن هو **"التصريح بصوت مرتفع، والتلاوة شفهيًا"** [بالألمانية vorlesen، vortragen، verlesen] لكل المواضع السبع والثمانين للجذر قرأ،[٢٩] وعلىٰ وجه الخصوص عندما يضع المرء في اعتباره الخاصية المصدرية "التلاوة" بالنسبة للصيغة الأكثر شيوعًا للجذر (سبعون من سبعة وثمانين حالة)، اسم المصدر "قرآن" نفسه.

هناك عدد قليل من مواضع الفعل المسند "قرأ" نجده مقرونًا بكلمة كتاب، بحيث يبدو أن المعنىٰ البسيط له هو "يقرأ": مثل[٣٠] ﴿..**حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ**﴾ (الإسراء ٩٣)،[٣١] و ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ (يونس ٩٤)،[٣٢] والمقاطع الثلاثة (الإسراء ١٤

(29) هناك في الواقع موضع آخر يمثل الموضع الثامن والثمانين (البقرة ٢٢٨)، لكن بصيغة "قروء"، وهو اسم جمع يعني "دورات الحيض" ومشتق من قرأ كما هو مبين أعلاه في الهامش ٤١؛ وهذه الكلمة ليست مرتبطة بأي صيغة للجذر في القرآن.

(30) الترجمات التالية وكل الترجمات اللاحقة للقرآن هي من عملي. وقد راجعت العديد من الترجمات الأوروبية:

R. Paret, Der Koran (Stuttgart, 1962); R. Blachère, Le Coran, 2 voll. (Paris, 1949-51); R. Bell, The Qur'ān (2 voll. Edinburgh, 1937-39); and A. J. Arberry, The Koran Interpreted (2 voll. London and New York, 1955).

وكل الإحالات القرآنية مذكورة وفق ترقيم نص القاهرة القياسي.

(31) يستشهد بوهل Koran", EI 2: 1063a بهذه الآية باعتبارها الموضع الذي تشير فيه كلمة قرأ "إلى قرأ read بكل تأكيد": وهكذا يترجمها بلاشير بـ lire، ويترجمها بيل وأربيري بـ read، ويترجمها باريت بـ lesen.

(32) لسبب ما، عند مقارنتها مع السياق المماثل للآية ٩٣ من سورة الإسراء، التي عالجناها أعلاه، فقط باريت يترجم قرأ بـ يتلو recite، ويترجمها بيل وأربيري بـ تلا have recite، ويترجمها بلاشير بـ réciter، مما يدعم طريقتي أدناه. بالطبع يمكن اعتبار كلمة lesen الألمانية، مثل مرادفاتها الفرنسية والإنجليزية، على أنها تعني "القراءة بصوت مرتفع" (أي verlesen و vorlesen).

و١٧، ومريم ٦٩) التي يُستخدم فيها الفعل قرأ مع كلمة كتاب كمفعول به بهدف الإشارة إلىٰ "قراءة" كل شخص يوم القيامة لـ "كتاب" أفعال الخير والشر التي قام بها.[٣٣] ومع ذلك، في جميع هذه المواضع، فإن المعنىٰ الصوتي "اقرأ (بصوت مرتفع)" يعطي المعنىٰ الأفضل. فالقراءة هنا، بشكل عام للأسباب التاريخية المذكورة أعلاه، وكذلك للسياق الداخلي، هي **"القراءة بصوت مرتفع"**. من المؤكد أن كل مقطع يحتوي علىٰ رابط واضح بين القراءة الشفوية أو التلاوة و"الكتاب" أو "النص المقدس" – إما كتاب سماوي يأتي منه الوحي، أو كتاب سماوي، فردي، فيه مصير المرء الشخصي.[٣٤]

بخلاف ذلك، من الواضح أن الترجمة الأفضل لجميع الحالات الاثنتي عشرة المتبقية من الفعل المسند هي "التلاوة، والقراءة بصوت مرتفع" أو "الإعلان"، مثل: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (العلق ١) بمعنىٰ اعلن "أو "اتلُ"،[٣٥] و **"وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا**

(33) يترجم بلاشير، وبيل، وأربيري كلمة قرأ هنا كما في الآية ٩٣ من سورة الإسراء (راجع الهامش السابق). ومع ذلك، فإن باريت يصيبه التوفيق أكثر في مثالين (الإسراء: ٧١، والحاقة ١٩) حيث يترجم الكلمة في المثالين بـ verlesen "يقرأ بصوت مرتفع، و جهرًا"، ويترجمها في الآية ١٤ من سورة الإسراء فقط بـ lesen.

(34) حول الربط بين هذين المفهومين المختلفين للكتاب السماوي، انظر:

F. Buhl, "Die Schrift und was damit zusammenhängt", in Oriental Studies (P. Haupt Festschrift), edd. C. Adler and A. Ember (Baltimore and Leipzig, 1926), 370-73, cf. 364-69; G. Widengren, The Ascension oj the Apostle and the Heavenly Book (Uppsala and Leipzig, 1950), passim, esp. ch. I; and J. Horovitz, Kor. Untersuchungen, 65-68. Cf. also J. Pedersen's review of E. Meyer, Ursprung und Geschichte der Mormonen (1912), Der Islam 5 (1914): 110-15; D. Künstlinger, "Kitāb und Ahlu-l-kitāb", RO, 4 (1928): 238-247; and Geo Widengren, Muhammad, the Apostle of God, and His Ascension (Uppsala and Wiesbaden, 1955), esp. 115-139.

(35) وفقًا للتقليد هذا أول قرآن أُنزل على محمد [ﷺ]؛ وهو دعوة في كثير من النواحي ليتولى مهمته كرسول من الله.

بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ١٩٨، ١٩٩)؛ و﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ (الأعلىٰ ٦).

بوضع المعنىٰ الشفهي لـ "قرأ" في الاعتبار، يمكن فهم اسم المصدر "القرآن" بشكل صحيح في القرآن نفسه. في جميع المواضع السبعين التي ذُكر فيها هذا الاسم، ليس هناك سوىٰ ثلاثة معانٍ أساسية للكلمة: (١) فعل تلاوة كلام الله (أيضًا الذكر، والتلاوة)، (٢) الوحي كله الذي أنزله الله ليُعلَن أو يُتلىٰ (أيضًا الذكر؛ والنذر؛ والفرقان)،[٣٦] (٣) أي وحدة خاصة من الوحي أُعطيت لمحمد [صلىٰ الله عليه وسلم] كي تُتلىٰ (أيضًا آية بمعنىٰ علامة وفقرة؛ وسورة، أي "جزء مقدَّس" أو "صف من الآيات؟").[٣٧] عادة ما يكون من الممكن قراءة كلمة القرآن بأي من هذه المعاني الثلاثة في فقرة معينة. يميل الباحثون إلىٰ تفضيل المعنىٰ "الجماعي" الثاني في جميع الحالات باستثناء حالات قليلة، حيث من الواضح أنه مستحيل (علىٰ سبيل المثال: القيامة ١٧–١٨، والإسراء ٧٨، حيث تصف الكلمة نشاطًا action، وتشير الكلمة في الجن ١ ويوسف ٣ ويونس ١٦ إلىٰ وحي واحد). إن هذا الميل هو نتيجة "القراءة الرجعية" المذكورة أعلاه باستخدام المعنىٰ المتأخر المتجسد للقرآن باعتباره "ما بين الدفتين" (أي "النص المقدس" الكامل والمجموع) لفهم "القراءات" التي أصبحت فيما بعد فقط القرآن المجموع. ومع ذلك، إذا قاومنا هذا الميل، ووُضعت القوة اللفظية للكلمة في الاعتبار، فإن فهم كلمة القرآن باعتبارها فعل التلاوة نفسه (المعنىٰ رقم (١) أعلاه) هو السائد بوضوح.

(36) عن كلمة "فرقان"، انظر المقال الموجز الدقيق: Paret, EI 2: 949-950، والمراجع الإضافية هناك.

(37) إن اشتقاق كلمة سورة ومعناها الأصلي غير مؤكد. راجع:

Jeffery, For. Vocabulary, 180-81 (with further references), and Bell, Origin, 52.

في ما لا يقل عن نصف العدد الإجمالي للسبعين موضع، يفضل هذا المعنىٰ النشط أو علىٰ الأقل يكون جيدًا مثل المعنيين الأخريين. لا يوجد موضع أوضح من المقطعين اللذين لا خلاف حول ترجمتهما:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء ٧٨).

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة ١٦-١٨).

بالمثل تقريبًا لا جدال حول العبارة المتكررة التي وردت في سورة القمر ٥٤ التي تقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

تنبه الآية ١١٤ من سورة طه محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم] من "الإسراع" في "التلاوة" قبل اكتمال الوحي revealing أو ("suggesting")[٣٨] ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾. وتأمره الآية الرابعة من سورة المزمل بالتلاوة بإمعان/ بوضوح ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾. ويشار إلىٰ الله في الآية ٨٥ من سورة القصص بأنه من جعل التلاوة فرض علىٰ محمد [صلىٰ الله عليه وسلم] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾. وتشير ثلاث فقرات أخرىٰ أيضًا إلىٰ تلاوة النبي أو إعلانه للكلمة الإلهية:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت ٢٦).

(38) إن الحجة التي قدمها ريتشارد بيل Richard Bell (W. M. Watt, ed., Bell's Introduction to the Qur'ān [Edinburgh, 1970), pp. 20-22) لترجمة كلمة وحي بـ "suggesting" مقنعة حتى لو كانت غير حاسمة.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (الأحقاف ٢٩).

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء ٤٦)

كما ورد ذكر "الهَجْر" للتلاوة النبوية (القرآن) من قِبل البعض في (الفرقان ٣٠)، وفي (النساء: ٨٢) (= محمد ٢٤): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. إن كون فعل التلاوة الشفهية لكلمة الله لا يمكن الاستهزاء به مذكور علىٰ نحوٍ مُشرق في الآية ٣١ من سورة الرعد، حيث يُطرح سؤال بلاغي: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ لآمن الناس؟ بالطبع سيخشىٰ الناس أصحاب الفهم من العقاب المتوعد به في التلاوة (ق ٤٥: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾)، لكن سيظل بعض الناس فاسدين لدرجة "تكذيب التلاوة" (الحجر ٩١: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾). هم يسمعون النص المقدس يتلىٰ، لكنهم لا يستمعون.

يوجد عدد معتبر من مواضع كلمة قرآن باسم الإشارة "هذا".[٣٩] في هذه الحالات، سيكون من الممكن تفسير "هذه التلاوة" إما علىٰ أنها فعل التلاوة أو التلاوة ككل أو جزء منها؛ ومع ذلك، في ثمان حالات من هذه الحالات علىٰ الأقل،[٤٠] فإن فهم كلمة قرآن علىٰ أنها فعل التلاوة يذكّرنا بالسياق التاريخي الذي كان يمكن أن تتلىٰ فيه المقاطع ليسمعها الجميع. يكفي مثالان لذلك (أحدهما موجود في موضعين):

(39) بالإضافة إلى المواضع الثمانية التي عالجناها في هذه الفقرة، فإن عبارة "هذا القرآن" موجودة في الفرقان ٣٠، وسبأ ٣١، وفصلت ٣١، والزخرف ٣١، والحشر ٢١.

(40) الإسراء ٩، ٤١، وفصلت ٨٨، ٨٩، والكهف ٥٤، والنمل ٦٧، والروم ٥٨ والزمر ٢٧.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء ٨٨).

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الروم ٥٨، والزمر ٢٧).

لا تزال هناك حالات أخرىٰ يمكن فيها فهم كلمة قرآن إما علىٰ أنها فعل التلاوة أو ما يُتلىٰ، وهي ما يلي:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن ١).

﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن ١ – ٤).

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس ٦٩).

وينبغي أن يضاف إليها الآيات الست التي تتحدث عن الوحي "المتلو باللغة العربية" [أو في "صيغة تلاوة عربية"] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[٤١] والمثال الوحيد الذي تكون فيه "تلاوة أجنبية" مذكورة.[٤٢] في فقرتين من فقرات "القرآن العربي" (فصلت ٣، والزخرف ٣)، يرتبط فعل التلاوة بمفهوم الكتاب: "شيء ما

(41) يوسف ٢، وطه ١١٣، والزمر ٢٨، وفصلت ٣، والشورى ٧، والزخرف ٣. من الجدير بالملاحظة أن هذه العبارة قد ترجمها سنوك هورجرونجي Snouck Hurgronje, RHR 30: 154، بـ " " texte à réciter arabe"! المقاطع الأخرى التي يجب أن نفهم فيها كلمة قرآن بشكل أكثر إقناعًا على أنها إما فعل القراءة أو المقطع الذي يُتلى هي تلك التي تبدأ بقسم: والقرآن الحكيم (يس ٢)، والقرآن ذي الذكر (ص ١)، والقرآن المجيد (ق ١). بالمثل، عبارة "والشجرة الملعونة في القرآن" (إشارة إلى شجرة الزقوم المذكورة في الصافات ٦٢؟ (وفقًا لابن كثير، Ibn Kathīr, Tafsīr [4 voll. Cairo, n.d.] 3: 48-49)، يمكن أن تعني "في فعل التلاوة" أو "في التلاوة [التي ذُكرت فيها]، أو "في التلاوة [ككل].

(42) "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا" (فصلت ٤٤)، التي أترجمها بـ:

Had we caused it to be recited in a non-Arab tongue [they would have said, 'Why are its signs [or: its verses] (āyātuhā) not made distinct . . . ?"]

مرسوم أو مكتوب، نص مقدس". بالمثل، ترتبط التلاوة "قرآن" في الفقرات الست الأخرىٰ بنص أو لوح مكتوب، كتاب سماوي فيما يبدو، يُؤخذ منه ما يُتلىٰ.[٤٣] قارن بين اثنين من النوعين: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (الحجر ١)[٤٤] و ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (الواقعة ٧٧–٧٨). هذا النوع من التجاور بين فعل التلاوة ونص مكتوب يشير إلىٰ نوع من فهم للنص المقدس قد أشرنا إليه بالفعل: النص المقدس هو شيء ما يُتلىٰ. إن وجود فكرة الكتاب السماوي ومفهوم الكلمة الإلهية كشيء يُقصد به أن يُردَّد شفيها في القرآن المجموع لا يمثل إلا تعارضًا ظاهريًا؛ فكل منهما ينتمي علىٰ نحو ملائم إلىٰ عملية وحيية أوسع.

في ضوء ما سبق، فإن الفقرات الأخيرة أعلاه وتلك الفقرات الأخرىٰ التي تتحدث عن "تلاوة التلاوة" (قرأ القرآن[٤٥] أو تلا القرآن[٤٦]) يُنظر إليها كانعكاس للطريقة التي أدت بها التلاوة النبوية للوُحِيّ المنفردة إلىٰ استعمال كلمة قرآن باعتبارها "اسم العلم" للتلاوة "العربية" من الكتاب السماوي الذي يحتوي علىٰ كلمة الله. إن "القرآن بلام التعريف" هو تلاوة أعطاها الله لمحمد [صلىٰ الله عليه وسلم] مثلما أعطىٰ الله النصوص المقدسة السابقة إلىٰ الأنبياء

(43) "كتاب" هي الكلمة المستخدمة في خمسة مواضع (راجع الربط بين قرأ والكتاب المذكور أعلاه)؛ يونس ٣٧ و٦١، والحجر ١؛ والنمل ١، والواقعة ٧٧.

(44) في الآية الأولى من سورة النمل عكس الترتيب والتعريف النحوي: "تلك آيات القرآن وكتاب مبين".

(45) الأعراف ٢٠٤، والنحل ٩٨، والإسراء ٤٥، والانشقاق ٨٤. وتماثل هذه الآيات المزمل ٢٠: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن"، والإسراء ١٠٦: " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا".

(46) النمل ٢٧. يأتي الفعل تلا عبر القرآن بمعنى "recite". راجع:

M. F. ʻAbd al-Bāqī, al-Muʻjam al-mufahras li-alfāz al-qur'ān al-karīm (numerous editions), s.v..

الآخرين من أجل التلاوة. تعني "تلاوة التلاوة" المعرفة عن ظهر قلب – التذكر – وإعلان الكتاب الإلهي أو جزء منه.[٤٧]

وهكذا، في الفقرة التي تتحدث صراحة عن وعد الله في التوراة، والإنجيل والقرآن (التوبة: ١١١)، ينبغي أن يُفهم لفظ القرآن باعتباره "التلاوة" (أي "النص المقدس") التي أعطاها الله للعرب. وهكذا يوازي القرآن ويحقق النصوص المقدسة السابقة التي أعطاها الله لليهود والمسيحيين وغيرهم بلسانهم. بالمثل، في الآيات التي تتحدث عن القرآن (أو هذا القرآن) باعتباره "أُنزل" (ن-ز-ل هو واحد من صيغ الفعل: ورد ثماني مرات)[٤٨] أو "أُعطىٰ" (الحجر ٨٧)، أو"تُلقِّي" (النمل٦)، أو "أوحي به" (الأنعام ١٩، ويوسف ٣)،[٤٩] يبدو أن مفهوم الوحي ككل أو كجزء معين منه يُبلغه الله محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم] من أعلىٰ علىٰ أنه "نص مقدس" للمتحدثين بالعربية هو المقصود. ومع ذلك، فإن العملية، مثل المنتَج، هي أولًا وأخيرًا عملية شفوية؛ والقرآن كـ "اسم العلم" في القرآن هو حقيقة شفهية بالأساس، ونشطة وجارية، وليس مخطوطة مكتوبة و"مغلقة" مثل حال المصحف فيما بعد.[٥٠]

(47) يتجلى هذا المعنى للقرآن باعتباره نصًا مقدسًا بالخصوص في فقرة أخرى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ" (سبأ ٣١). يمكن أن يشير لفظ القرآن هنا إلى فعل التلاوة، لكن استخدام آمن بـ يشير إلى "النص المقدس"، أي كلمة الله، باعتبارها الترجمة المفضلة.

(48) البقرة ١٨٥، والمائدة ١٠١، والإسراء ٨٢، و١٠٦، وطه ٢، والزخرف ٣١، والحشر ٢١، والإنسان ٢٣.

(49) راجع أيضًا يونس ١٥، حيث يقول الذين ينكرون البعث "ائتِ بقرآن غير هذا أو بدله!". هنا كلمة "قرآن" تشير بشكل أفضل إلى وحدة "تلاوة" معينة، لكن أيضًا يمكن أن تنطبق على الوحي ككل.

(50) تظل المواد الأخرى الموجودة في القرآن نفسه بحاجة إلى فحص بحثًا عن الضوء الإضافي الذي قد تلقيه على هذا الجانب من الفهم المبكر للقرآن. على وجه الخصوص المواضع العديدة للجذر ت-ل-ا، والجذر ح-ف-ظ الأقل ورودًا لكن استعمال مهم. بالمثل، فإن ج-م-ع أيضًا بحاجة إلى تدقيق.

هناك أدلة كثيرة من خارج النص القرآني تدعم هذا التفسير لمضمون ودلالة كلمة قرآن في الفترة المبكرة. وفي حين أن الفحص الشامل للمصادر خارج القرآن هو موضوع لتحقيق منفصل، إلا أن من المهم أن نذكر هنا بعض المواد التي تدعم الحجة السابقة.[٥١]

قد تكون الإشارات الشعرية المبكرة للاستخدام الشفهي مكانًا منطقيًا للبدء، لكن المصادر الإسلامية نفسها تقتبس فقط مثالًا واحدًا لكلمة قرآن في مناقشاتهم لمعنىٰ الكلمة. وهو بيت شعر منسوب عمومًا إلىٰ حسان بن ثابت، أشهر الشعراء المرتبطين بظهور الإسلام ومعاصر قديم لمحمد [صلىٰ الله عليه وسلم].[٥٢] يتحدث حسان هنا[٥٣] عن شخص **"يقطّع الليل تسبيحًا وقرآنًا"**،[٥٤] وهو استخدام ظرفي (حال) واضح للصيغة المصدرية للدلالة علىٰ فعل التلاوة.

توفر المدونة الحديثية موردًا غنيًّا من الأمثلة، ولا سيما استخدام لفظ قرآن باعتباره فعل التلاوة. يستشهد ابن حنبل بحديث يقول إن من قرأ سورة البقرة

(51) الدليل على ما قيل هنا أنه ظاهرة لاحقة (على الأقل بعد عثمان) – أي فهم القرآن بالأساس كسجل مكتوب ثابت من الوحي المنزل على محمد [ﷺ]، "القرآن كاسم علم" – هو بالطبع متوفر بإسهاب. إذ يمكن رؤية العشرات من الأمثلة على الاستخدام الأكثر تجسيدًا حتى عن طريق مسح للمدخلات في:

A. J. Wensinck et al., Concordance et indices de la tradition musulmane (7 voll. Leiden, 1936-69), s.v. "qur'ān."

ومن المحتمل أيضًا أن تسفر دراسة شاملة للمناقشات ذات الصلة عبر كتب التفسير الكلاسيكية عن المزيد من المواد.

(52) W. Arafat, "Hassān b.Thābit", EI2 3: 271-73.

(53) أي الاستيقاظ في الليل [حرفيًا تقطيع الليل (باستمرار)] لأداء عباداته. كان هذا بالطبع ممارسة تعبدية شائعة في الإسلام. انظر A. J. Wensinck, "Tahadjdjud", SEI, 559.

(54) Kitāb al-Mabānī, 58; Tabarī, Tafsir 1, 97.

حيث تُفسَّر كلمة قرآن بقراءة، المصدر الشائع لقرأ، على الأقل منذ فهم لفظ القرآن كـ "اسم علم"؛ ويعطي الطبري أيضًا اسم المفعول مقروء في هذه المناقشة. وقد نقل عنه أيضًا:

Horovitz, Kor. Untersuchungen. 74 n.1, and Nöldeke-Schwally 1: 34.

وسورة آل عمران "**قد قرأ قرآنًا كثيرًا**".[٥٥] تصف رواية أخرىٰ كيف أن محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم] (رفع صوته بالقرآن)،[٥٦] ويروىٰ أن محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم] قد أشاد برجل "**كان كثير الذكر لله في القرآن**".[٥٧] "**في كل صلاة تلاوة** (قرآن)"،[٥٨] والعديد من الأحاديث تتحدث عن أن الأكثر قرآنًا[٥٩] هو الأحق بإمامة الصلاة. ويتكرر في الأحاديث ارتباط تلاوة كلمة الله بطريقة مماثلة بالعبادة الرسمية أو التضرع الشخصي. هناك مثالان من الأمثلة الأخرىٰ يستحقان الذكر بالخصوص. الأول هو حديث قدسي يقول فيه النبي:

يقول الله: "**مَن شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**".[٦٠]

أما المثال الثاني فهو رواية تروي كيف كان أحد الصحابة في ليلة من الليالي يتلو القرآن (في بعض الروايات سورة الكهف بالتحديد)، وفجأة حاول حيوان له في الفناء أن يتحرر بعنف ويهرب. فنظر ليرىٰ ما الذي أرعب حيوانه، لكنه لم يجد شيئًا. ولما روىٰ ذلك لمحمد [صلىٰ الله عليه وسلم] في اليوم التالي، قال:

(55) Musnad 3: 245.

(56) Muslim b. al-Hajjāj, al-Sahīh, ed. M. F. ‘Abd al-Bāqī (5 voll. Cairo, 1374/1955-1375/1956), 4: 145.

(57) Ibn Hanbal, Musnad 4: 159.

(58) Ibid. 2: 285.

(59) Bukhārī 10:54 (=Musnad 5: 71); Bukhārī 64:53:3 (=Musnad 5: 30, and Ahmad al-Nasā’ī, Sunan [8 voll. Cairo n.d.] 7:8); Muhammad b. ‘Īsā al-Tirmidhī, Sahīh (13 voll. Cairo 1350/1931-1353/1934) 8:31.

(60) Tirmidhī 46:25; also ‘Abd Allāh al-Dārimī, Sunan, ed. ‘Abd Allāh al-Yamanī aI-Madanī (2 voll. Cairo 1386/1966) 23:6 [Note that this Divine Saying is not included in, and should be added to, the ninety “families” dealt with in W. Graham, Divine Word and Prophetic Word].

النبي: **"تلك السكينة تنزلت بالقرآن"**.[٦١]

هناك أيضًا العديد من الأمثلة في الأحاديث يشير فيها لفظ قرآن بوضوح إلىٰ وحدة منفردة من الوحي/ التلاوة.[٦٢] يبدو أن الصحابة قد خافوا من فعل شيء قد يتسبب في **"إنزال قرآن فيه"**.[٦٣] وقد نزلت وحدات قرآنية معينة في مناسبات معينة كما تُظهر العديد من الأحاديث.[٦٤] إذ يروي ابن عمر كيف أتىٰ رجل من عند محمد [صلىٰ الله عليه وسلم] وقال إن قرآنًا أنزل عليه الليلة الماضية (قد أنزل عليَّ الليلة قرآن).[٦٥] وقد طلب المسلمون آيات من القرآن في العديد من القضايا الخاصة، لكن الحاجة إلىٰ معرفة مثل هذه الآيات للتعامل مع مشاكل محددة[٦٦] كانت أقل أهمية – علىٰ الأقل من حيث الاستخدام الواسع والمتكرر للقرآن بين جميع المسلمين – من الحاجة إلىٰ معرفتهم لأداء الصلاة. إن العبادة الرسمية الخالية من القرآن "ناقصة"،[٦٧] علىٰ الرغم من أنه في إرشادات محمد

(61) Bukhārī 66:11; Tirmidhī 46:25. On sakīnah, see W. Graham, Divine Word and Prophetic Word, 21 n.13.

(62) يستمر هذا الاستخدام أيضًا في الظهور في المصادر اللاحقة، مثلًا في الفصول في الأصول للقشيري (توفي في ٤٦٦هـ/١٠٧٤م) (مراجعة وترجمة ريتشارد فرانك، تصدر في MIDEO، 1980/81)، المادة ٤٥ [عن الكلمة الإلهية]: "ويسمى المقروء قرآنا، مثلما يسمى المشروب شرابًا" أو القصة التي ذكرها ابن منظور في لسان العرب (Beirut ed.) 7: 183ab ، عن شك زوجة الشاعر عبد الله بن رواحة في أنه جامع للتو جارية. ونظرًا لأنه أقسم في وقت سابق على عدم قراءة القرآن وهو جنب تطلب منه زوجته بذكاء أن يتلو القرآن كي تكشفه. وعندما يقرأ الشاعر ثلاثة أبيات من قصيدة "شهدتُ بأن وعد الله حق" تقتنع زوجته ببراءته، "لأنها حسبت هذا قرآنًا" (أمدني بالمرجع ولفارت هاينريش).

(63) Musnad 2: 252.

(64) *Musnad* 1: 237; II: 307, 337; III: 255 (=Muslim 5:297).

(65) Bukhārī, *Sahih, Tafsīr* S. 2, hadīth 14 (also in hadith 15, 16).

(66) على سبيل المثال يجيب ابن عباس على سؤال رجل بعبارة "سأتلو عليك بذلك قرآنًا":

TIRMIDHI, TAFSĪR S. 63, HADĪTH 5. CF. MUSNAD 5: 30.

(67) Musnad 3: 215.

[صلىٰ الله عليه وسلم] إلىٰ البدوي الذي كان يسأل عن كيفية أداء الصلاة كان يقول: **"إن كان معك قرآن فاقرأ، وإلا فاحمد الله وكبره وهلله"**.[٦٨] علىٰ أي حال، فإن تلاوة كلمة الله هي، وفقًا لحديث عن النبي، **"إنكم لن ترجعوا إلىٰ الله بأفضل مما خرج منه"**.[٦٩]

تؤكد الأحاديث ما توحي به الأدلة القرآنية: أن المفهوم الإسلامي للنص المقدس كان في الأصل – وربما لأجيال، وبالنسبة للعديد من المسلمين حتىٰ يومنا هذا – **تلاوة شفهية لكلمة الله**. كان الدمج اللاحق لفكرة النص/ الكتاب الإلهي بحقيقة قرآن المصحف المجموع يميل إلىٰ ابتلاع الفهم السماعي الأكثر نشاطًا المبكر لكلمة الله التي تُتلىٰ. ومع ذلك، فقد نجح المجتمع الإسلامي في التمسك بطريقة رائعة بالطابع التلاوي الأساسي لنصهم المقدس. ففي كل من الصلوات والسهرات التي تمارس علىٰ نطاق واسع، ومجالس الذكر، وتلاوات القرآن الاحتفالية [ملاً في رمضان]، والصلاة الشخصية (الدعاء)، وغير ذلك من الممارسات التعبدية النافلة، رفع المسلمون قديمًا وحديثًا تلاوة النص المقدس إلىٰ فن وإلىٰ واقع دائم وحاضر علىٰ نحو مستقر في حياتهم الشخصية والجماعية. وبهذه الطريقة، أبقوا المعنىٰ الأصلي لكلمة قرآن كتلاوة علىٰ قيد الحياة حتىٰ خلال توقيره ككتاب. بعبارة أخرىٰ، قد حافظوا بحيوية كبيرة علىٰ إحساسهم بالقرآن باعتباره كتابًا مقدسًا في كل من بُعديْه الشفوي والكتابي.

إن المشاركة الشفوية النشطة في واقعية النص المقدس هي ما تعكسه الأدلة السابقة من القرآن والحديث بشكل واضح. والتلاوة، والحفظ، و"تذكر"

(68) Tirmidhī 2:110.

(69) *Ibid*. 46:17:2.

(الذكر)[٧٠] القرآن في الحياة الليتورجية والتعبدية هي مفاتيح لفهم الطابع الأساسي لتلك الواقعية في باكر الإسلام، وبدرجة كبيرة عبر التاريخ الإسلامي. إن المفهوم اللاهوتي للكلمة الإلهية الموحىٰ بها المعصومة هو لاحق لمفهوم كلمة الله علىٰ أنها ما يريد الله أن يَسمعه من عبيده ويتلونه في عبادتهم له. كانت تلاوة الوحدات القرآنية وسجود الجسد – مهما كان شكلها الأصلي ونظامها –[٧١] من الأفعال التعبدية الأساسية التي حث عليها الإسلام الفرد والمجتمع المسلم.

إن الليتورجيا (والتلاوة هي الليتورجيا الفعالة في الإسلام) والحياة التعبدية هما المحل الذي يجب علىٰ المرء أن يبحث فيه عن الطابع المميز للقرآن ككلمة كتابية مقدسة منذ وقت مبكر؛ وما أحدث ارتباطًا بين المجتمع المحمدي هو الإيمان بأنه من خلال الوحي إلىٰ النبي قد أُعطوا أيضًا، مثل اليهود والمسيحيين من قبلهم، كلمة الله للهداية والراحة – التي تتحقق في أعمال الالتزام القلبي وتلاوة تلك الكلمة في كل فرصة، وبالتالي عيش تلك الكلمة وتأكيد منزلتها كنص مقدس.

* * *

(70) راجع: P. Nwyia, Exégèse coranique et langage mystique (Beirut, 1970), 36-37، حيث يشير المؤلف إلى كيف أن كلمة الذكر، في تفسير مقاتل، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتلاوة في الصلاة وغالبًا ما تُفسَّر على أنها قرآن بالخصوص.

(71) On the development or the cultus, see J. Horovitz, "Bemerkungen zur Geschichte und Terminologie des islamischen Kultus", Der Islam 16 (1927): 249-63; E. Mittwoch, "Zur Entstehungsgeschichte des islamischen Gebets und Kultus", Abhl. Pr. Ak. Wiss. (1913), n. 2; and C. H. Becker, "Zur Geschichte des islamischen Kultus", Der Islam 3 (1912): 374-99.